SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.24 NO. 1 2025
DOI: 10.51984/JOHS.V24I1.3725

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

التجمير في البعوث آثاره السياسية والاجتماعية في العهدين الراشدي والأموي (23هـ/662- 132هـ/750م)

فريال امحمد أبو زبيدة

شعبة الوسيط-قسم التاريخ والآثار- كلية الآداب- جامعة طرابلس

الملخص

أن بقاء الجنود فترات طويلة على جبهات القتال أو لحراسة حدود الدولة العربية الإسلامية، كان ضرورة فرضتها سياسة الدولة العسكرية التوسعية في صدر الإسلام. ولكنها ما لبث أن أصبحت وسيلة سياسية للعقاب الجماعي للمدن التي بها معارضة سياسية كالعراق؛ لكسر شوكتها، وإشغالها بالعدو المتربص بها، بدلا من إشغالهم بسياسة الخلفاء وولاة، الأمر الذي شاع في العهد الأموي. ونتيجة لهذا التوجه تداعيات سياسية واجتماعية على أهالي العراق. والبقاء فترات طويلة في حدود أرض العدو في ظروف قاسية بعيدًا عن عائلاتهم ومواطنهم. فضلا عن التفكك الأسري وتدهور أوضاع العائلات التي تعرض أربابها للتجمير في الثغور اجتماعيًا وماديًا.

الكلمات المفتاحية:

الآثار
التجمير
البعوث
الراشدي
الأموي

"ALTJMIR IN BOUATH ITS POLITICAL AND SOCIAL EFFECTS IN THE RASHIDUN AND UMAYYAD ERAS"(750/132 -662/23)

Firyal Amhimmid Abu zubaydah

Mediator Branch-Department of History and Archaeology- Faculty of Arts and Languages- University of Tripoli

Keywords:

EFFECTS
ALTJMIR
ALBOUATH
RASHIDUN
UMAYYAD

ABSTRACT

The prolonged presence of soldiers on the battlefronts or to guard the borders of the Islamic Arab state was a necessity imposed by the expansionist military policy at the dawn of Islam. However, it soon became a means of collective punishment for regions with political opposition; to weaken their strength, and engage them with the lurking enemy, instead of being occupied with the policies of the caliphs and governors, a practice that became prevalent during the Umayyad era. As a result of this approach, there were political and social repercussions on the people, such as hatred towards Umayyad rule and its tyranny in forcing them to go out to wars and stay for long periods on the enemy's borders in harsh conditions, far from their families and fellow citizens.

المقدمة

يستعرض البحث تاريخيًا ظاهرة التجمير في البعوث خلال العهدين الراشدي والأموي، مبينًا آثارها السياسية والاجتماعية على مجتمع الأمصار، وبالأخص العراق الذي عانى بشدة من هذه الظاهرة زمن دولة بني أمية؛ لاتخاذهم هذه الرؤية العسكرية وسيلة لتوسعهم العسكري في الممالك المجاورة في المشرق من جهة، وللسيطرة على المعارضة السياسية في العراق من جهة أخرى.

إن فكرة تناول هذا الموضوع في دراسة بحثية هي في الواقع نابعة من رغبة أستاذي المرحوم د. مختار أبو عجيلة العجيل*، الذي تحدث عن أهمية موضوع التجمير خلال تدريسه لي في مادة الدولة الأموية، وكان يرغب في الكتابة في هذا الموضوع بنفسه، ولكن المنية وافته، وحالت دون تحقيق ذلك، وأتمنى أن أكون قد أسهمت بهذا البحث في تسليط الضوء على ظاهرة التجمير كما صورها لي أستاذي الفقيد - غفر الله له -، مع إضفاءات الباحثة حول هذا الموضوع.

وقد قسمت الموضوع لثلاثة محاور، مركزة على النقاط الرئيسة التالية: أولاً- مفهوم التجمير في البعوث لغةً واصطلاحًا، وثانيا- بروز ظاهرة التجمير في البعوث زمن الخلفاء الراشدين وآثارها الاجتماعية والسياسية، وأسلوب الخلفاء في التخفيف من سلبياتها على المجتمع العربي الإسلامي، ثالثا- التحول السياسي والاجتماعي لظاهرة التجمير في عهد الدولة الأموية، وتفاقم آثارها السياسية والاجتماعية، وكيف كان لولاة الدولة الأموية دورًا كبيرًا في تعميق هذه الآثار في حياة الناس، بالأخص في العراق.

أولاً- مفهوم التجمير في البعوث لغةً واصطلاحًا:

التجمير في اللغة: " الجَمِيرُ مُجْتَمَعُ القوم وجَمَّرَ الجُنْدَ أَبقاهم في ثَغْرِ العدوّ ولم يُقْفِلْهم وقد نهي عن ذلك، وتَجْمِيرُ الجُنْد أَن يحبسهم في أَرض

*Corresponding author:
E-mail addresses: f.abuzbeda@gmail.com
Article History : Received 12 December 2024 - Received in revised form 18 March 2025 - Accepted 22 March 2025

العدوّ ولا يُقْفِلَهُمْ من الثَّغْرِ وتَجَمَّرُوا هُمْ أَي تحبسوا ... جَمَّرَ الأَميرُ الجيشَ إِذا أَطال حبسهم بالثغر ولم يأْذن لهم في القَفْلِ إِلى أَهليهم"[1]. **أما في الاصطلاح:** " أن يبعث الرجل إلى الثغر ثم يترك فيه، فلا يقفل إلى أهله، ويرد إلى وطنه. فيضر به ويعرض للفتنة في نفسه وأهله، والعدل ألا يجمر الجند في البعث، وهذا أن يعقب بينهم في كل ستة أشهر فيما يختاره، وقد كان بعض من تقدم من ولاة الأمر وبما عقب في كل سنة، والأمر في هذا عندنا أن يتوخى فيه الأئمة وأولو الأمر المصلحة، ويحملوا الناس على الرفق بهم، ويجتهد في حسن النظر لهم، ويتحرى في هذا الباب من التدبير ما هو أبلغ في سياسة الرعية، وتحصين الثغور، وحفظ البيضة، وحماية الحوزة، والتحرز من الفساد والفتنة، وانتشار الكلمة..." [2]. التجمير في البعوث هي استراتيجية عسكرية، ويقال: إن فرعون أول جمَّر جنوده في البعوث[3]، كما تذكر المصادر أيضا أن أحد الأكاسرة الفرس، عُرِف بالتجمير للجند [4].

ومعنى البعوث في اللغة: " الجمع بُعْثانٌ والبَعْثُ بَعْثُ الجُنْدِ إِلى الغَزْو والبَعْثُ القومُ المَبْعُوثُونَ المُشْخَصُونَ، ويقال: هم البَعْثُ بسكون العين وفي النوادر، يقال: ابْتَعَثْنا الشامَ عِيراً إِذا أَرسَلوا إِليها رُكَّاباً للميرة. وفي حديث القيامة : يا آدمُ؛ ابْعَثْ بَعْثَ النار أَي: المَبْعُوث إِليها من أَهلها وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر وبَعَثَ الجُنْدَ يَبْعَثُهم بَعْثاً وجَّهَهُمْ وهو من ذلك وهو البَعْثُ والبَعِيثُ وجمع البَعْثِ بُعُوث قال ولكنَّ البُعُوثَ جَرَتْ علينا فَصِرْنا بينَ تَطْوِيحٍ وغُرْمٍ وجمع البَعِيثِ بُعُثٌ والبَعْثُ يكون بَعْثاً للقوم يُبْعَثُون إِلى وَجْهٍ من الوجوه مثل السَّفْر والرَّكْب وقولهم كنتُ في بَعْثِ فلانٍ أَي في جيشه الذي بُعِثَ معه والبُعُوثُ الجُيوش"[5]. إن المفهوم العام لمصطلح التجمير هو إرسال الجند إلى الحدود مع العدو لفترات طويلة بعيدًا عن أوطانهم وعائلاتهم. هذا بلا شك ترك آثارًا اجتماعية وسياسية بالغة الأثر، فكيف عالجها ولاة الأمر والساسة زمن الخلفاء الراشدين والأمويين؟.

ثانيا - بروز ظاهرة التجمير في البعوث زمن الخلفاء الراشدين وآثارها الاجتماعية والسياسية :

ذكرت مسألة التجمير في البعوث في المصادر التاريخية زمن النبي (ﷺ) ذلك أن " وفد ثقيف قدموا على رسول الله (ﷺ) فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يحشروا { أي لا يندبون إلى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث} ولا يعشروا ولا يجبوا ولا يستعمل عليهم غيرهم" [6]. وذكرت مسألة التجمير في البعوث للمرة الثانية في الخطاب السياسي الأول لعمر بن الخطاب أثر توليه الخلافة سنة (13-23ه/634-643م) إذ قال:" فالمهاجرون تحت ظلال السيوف أدر عليهم أرزاقهم، وأوفر عليهم فيئهم، ولا أجمرهم في المغازي، وأكون أنا أبا العيال حتى يقدموا " [7].

ولا تذكر المصادر شرحًا مفصلاً عن السبب الذي دعا الخليفة عمر بأن يعلن في بداية حكمه عن إعفاء المهاجرين من التجمير، ولماذا يكون الإعفاء حصرًا للمهاجرين دون الأنصار؟ وهل كان الخليفة عمر بن الخطاب يحاول أن يطمئن المهاجرين المعنيين وفق اجتماع السقيفة بترشيحه للخلافة؟

إن تناول موضوع التجمير في خطابه ما هو إلا مؤشرًا على أهمية الآثار الاجتماعية التي تركها التجمير في حياة الناس في أوائل حكمه، إذ عُرف عليه التشدد في شخصه، ولعل هذا التشدد هو الذي خلق مخاوف لدى بعض المهاجرين بأن يجبروا على البقاء في الثغور، فهذا يعني بأن الخروج في البعوث كان إلزامياً على الكل، حيث يجمروا فيها لأسباب عسكرية.

بدأت الدولة العربية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الاهتمام بتوسيع رقعة أراضيها ومناطق نفوذها ودخلت في حروب مع أقوى الإمبراطوريات القائمة آنذاك الفارسية والبيزنطية؛ وكانت الحرب على هاتين الجهتين في وقت واحد من الأمور الصعبة في إدارتها من قبل الدولة الناشئة[8]. لقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب القادة والعمال إلزام الناس " بالاستنفار" والانخراط في الجيوش التي تقاتل في جبهات الشام والعراق بقوله: " ولا تدعو في ربيعه ومضر ولا حلفائهم أحد من أهل النجدات ولا فارسا إلا اجتلبتموه فأن جاء طائعا وإلا حشرتموه " [9].

إن تاريخ ظهور نظام التجنيد عند العرب يعود لجهود الخليفة عمر بن الخطاب، الذي شهد عهده فتوحات كثيرة في العراق والشام ومصر وبرقة وإطرابلس في بلاد المغرب، فأصبح للدولة العربية الإسلامية ثغور* برية وبحرية تَحدُّها مع الإمبراطورية البيزنطية، وثغور برية في الغرب وفي منطقة الجزيرة والشام[10]، فضلاً عن ثغور برية طويلة في المشرق تَحدُّ أممًا كثيرة مثل الهند والسند والترك، فبات من واجب العرب المسلمين الخروج في بعوث من المدينة أو بقية الأمصار لحماية هذه الثغور، فكان التجمير نتيجة لهذه الاستراتيجية العسكرية، إلا أن هذه الاستراتيجية لها بعض الأضرار الاجتماعية على الاستقرار الاجتماعي للعائلات التي كانت معرضة إلى التفكك الأسري، بسبب غياب أربابها لفترات طويلة عن منازلهم في الثغور.

وقد شعر الخليفة عمر بعمق هذه المشكلة وخطورتها عندما كان في أحد المرات يطوف ببيوت المدينة لتفقدها؛ إذ سمع امرأة تنشد شعر تشكو فيها بُعد زوجها عنها في البعوث، فسارع في اليوم التالي لسؤال ابنته حفصة عن المدة التي تتحملها المرأة إثر غياب زوجها، فأجابته بستة أشهر، فأصدر أوامره بأن يبقى الجندي فترة ستة أشهر كحد أقصى في الثغور[11].

حرص الخليفة عمر بن الخطاب على أن يلتزم ولاته الرفق بالرعية، ومن الرفق عدم تجميرهم في البعوث؛ إذ جاء ذلك في حديثه لوالي مصر عمرو ابن العاص" ... ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تجمروهم في البعوث فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم"[12]. وجاء في حديث آخر للخليفة عمر: " لا تُجَمِّرُوا الجيش فَتَفْتِنُوهم؛ تَجْمِيرُ الجيش: جَمْعُهم في الثُّغور وجَبْسُهم عَنِ الْعَوْدِ إِلى أَهليهم "[13].

إن الفتنة المقصود بها بُعد الرجال عن زوجاتهم لفترات طويلة في الثغور، ففتنة النساء هي السبب، التي حاول الخليفة عمر بن الخطاب معالجتها بتحديد فترة ستة أشهر كحد أقصى لتجمير المقاتلة في البعوث. وهناك عدة روايات حول مدة التجمير، منها من يقول أربعة ومنها ستة أشهر فسأل عمر نساءً: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ فقلن شهرين، وفي الثالث يقل الصبر، وفي الرابع ينفذ الصبر، فكتب إلى أمراء الأجناد: أن لا تحبسوا رجلاً عن امرأته أكثر من أربعة أشهر"[14]، وفي رواية أخرى أنه حدد مدة بقاء الجند الغازي، فقال عمر رضي الله عنه : " يسير الناس إلى غزاتهم شهرًا، ثم يرجعون شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر، فوقتَ ذلك للناس"[15]، وفي رواية أخرى: " سأَل عمر رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها: متى يشتد على المرأَة فَقْدُ زوجها؟ فقالت: شهرين لا تبالِيه، وأَربعة تكون بين الأَمرين، والستة الأَشهر، فجعل مغازي الناس ستة أَشهر" [16].

وبجانب هذه المسألة، هناك مسألة أخرى مرتبطة بغياب الزوج لفترة طويلة، ألا وهي "النفقة" فمن المسؤول مالياً عن العائلة التي يغيب ربُّها لفترات طويلة؟ وفي قصة المرأة التي بسببها اتخذ الخليفة عمر بن الخطاب قراره بتحديد مدة التجمير في البعوث، نراه يرسل لها نفقة من بيت المال لتستعين بها في قضاء حوائجها، ولكن لا يعرف هل استمرت الدولة تدفع

لجميع العائلات التي غاب عنها أربابها أو أنها حالة فردية انتهت مسؤولية الخليفة المالية عليها بمجرد عودة الزوج من الغزو؟. ولكن السؤال هنا: ماذا عن الضرر النفسي والاجتماعي والمادي الذي يقع على الزوجة والأولاد؟

فالمرأة هي التي تتحمل وحدها مسؤولية تربية أبناءها والمحافظة على التوازن والترابط الأسري في ظل غياب الأب؛ بل إن البعض قد يُطلق زوجته وتتفكك الأسرة لبعد المسافة وضعف الترابط العائلي، وينشؤ الزوج لنفسه حياة أسرية أخرى، وفي رواية عن ابن عمر قال: " كتب عمر بن الخطاب فيمن غاب من الرجال من أهل المدينة عن نسائهم أن يردوهم: فليرجعوا إليهن أو يطلقوهن أو ليبعثوا إليهن بالنفقة، فمن طلق بعث نفقة "[17]، والمقصود من النفقة هنا إلزام الرجال المجمرين في الثغور بالإنفاق المالي على عائلاتهم في حال غيابهم لفترات طويلة، وعدم رغبتهم في العودة سريعا لبيوتهم.

وفي أوائل عهد الخليفة عثمان بن عفان(23-35ه/643-655م) أصدر أوامره لوالي الشام معاوية بن أبي سفيان بضرورة الاهتمام بشحن المقاتلة في السواحل الشامية ومنحهم القطائع[18]، كما تبنى استراتيجية جديدة لحماية الحدود والثغور بنقل القبائل من مواطنهم إلي مناطق الثغور، وعرفوا بالنواقل، فنقلت قبيلة أسد وقيس من الحجاز وبعض قبائل مضر وربيعة إلى ثغور الجزيرة، ونقلت جماعات من أهل الجزيرة وحمص وبعلبك ومن مدينتي الكوفة والبصرة إلى نواحي أنطاكية[19] التي وقع عبء حماية الثغور الشامية، نرى الخليفة عثمان يحاول حل مشكلة حماية الثغور الشامية علىها بدلاً من تجمير الجند في الثغور، وقام بتوطين الجند بعائلاتهم في هذه الثغور.

لكن قضية التجمير قد أثيرت في المصادر التاريخية زمن الخليفة عثمان بن عفان إثر اضطراب علاقته بأهل الأمصار، فقد استدعى سنة (32ه/652م) جميع عماله من بني أمية، وهم : والي الشام: معاوية بن أبي سفيان، والي الكوفة: سعيد بن العاص، والي البصرة: عبد الله ابن عامر، ووالي مصر: عبد الله بن سعد؛ لاستشارتهم في المعارضة التي بدأت تقوى ضده، فأشار عليه - وفق رواية يوردها الطبري - والي البصرة: عبد الله بن عامر بتجمير رؤساء المعارضة في الثغور، فينشغلوا بجهاد العدو عن السياسة، وتأليب الناس ضده:

بقوله: " أرى لك أن تجمّرهم في هذه البعوث حتى يهمّ كلّ رجل منهم دبر دابّته، وتشغلهم عن الإرجاف بك، فقال عبد الله بن سعد: أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيهم، ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم... فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه، ويحتاجوا إليه"[20]. وفي رواية للمسعودي أن صاحب هذا الرأي والي الكوفة: سعيد بن العاص، " فجهزهم في البعوث حتى يكون هَمُّ أحدهم أن يموت على ظهر دابته، قال: فسمع مقالته عمرو بن العاص فخرج إلى المسجد، فإذا طلحة والزبير جالسان في ناحية منه، فقالا له: تعالى إلينا، فصار إليهما، فقالا: ما وراءك؟ قال: الشر، ما ترك شيئاً من المنكر إلا أتى به وأمر به، وجاء الأشتر فقالا له: إن عاملكم الذي قمتم فيه خطباء قد رد عليكم وأمر بتجهيزكم في البعوث".[21]

وفي رواية أخرى أن معاوية بن أبي سفيان أشار على الخليفة عثمان بن عفان بتجمير الصحابة علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله في الثغور، وهم بقية مجلس الشورى الذي اختارهم الخليفة عمر بن الخطاب للترشُّح لمنصب الخلافة، وربما كان ذلك لحرمان المعارضين في الأمصار من مرشحيهم المرتقبين للخلافة، بدلاً من الخليفة عثمان إلا أن الخليفة رفض.[22]

وجاءت المعارضة العراقية للمدينة في تشكيلة تشبه الكتائب العسكرية لمطالبة الخليفة بمطالب أهمها: أن يرد المنفيين من الشام ولا يجمرهم في البعوث، ويوفر لهم الفيء*، وهي مطالب لتخفيف الأعباء المالية والاجتماعية على رؤساء العشائر والقبائل[23]. تطرح هذه الروايات فكرة أن التجمير يستخدم لأول مرة كوسيلة ضغط لردع المعارضة السياسية المتصاعدة ضد الخليفة عثمان بن عفان وتسلط الأسرة الأموية على الدولة في عهده، وأن التجمير أصبح وسيلةَ عقابٍ جماعيٍ لأي معارض للدولة الأموية.

كما كان الإعفاء من التجمير وسيلة لجذب الأنصار والمؤيدين، فحاول والي الشام معاوية بن أبي سفيان استخدامها خلال الفتنة الكبرى، فاضطرب العراق عقب انتهى معركة صفين سنة (37ه/657م) والتحكيم، وساد الخلاف السياسي والقبلي بين جيش أهل العراق، خاصة في البصرة التي انشق بعض جند الخليفة علي بن أبي طالب (35-40ه/655-660م) ضده تحت ما يسمى " الخوارج" الذين قاتلهم في معركة نهروان سنة (37ه/657م)[24]، إذ أغرى سوء الأوضاع في البصرة معاوية بإرسال ابن الحضرمي التميمي لدعوة أشرافها من القبائل وقرأ عليهم كتاب معاوية، الذي وعدهم فيه بعطائين في السنة ولا يجمرهم في البعوث ولا يأخذ منهم فضل خراجهم، ولكن المؤيدين للخليفة علي رفضوا العرض، فيما وافق عليه بعض أشراف القبائل "العثمانية" الموالين للخليفة عثمان، وكادت تحدثُ حربًا أهلية بين قبائل البصرة، لولا سرعة تحرك الخليفة علي بن أبي طالب في إخماد حركة ابن الحضرمي[25].

ثالثًا - ظاهرة التجمير في عهد الدولة الأموية وتفاقم آثارها السياسية والاجتماعية:

كان خلفاء بني أمية أصحاب مُلك قوي؛ لأنهم حافظوا على ثغورهم، وكانوا يملكون جيشًا قويًا يبعثون البعوث ويجبون الأمصار[26]، فكان هذا التوجه في استخدام التجمير هو وسيلة ضغط سياسية، له سمة بارزة في إدارة الدولة الأموية، وبخاصة في العراق الذي كان يمثل بؤرة المعارضة الدائمة لحكم بني أمية، وأن التجمير أحد عوامل هدم دولتهم وتعميق العداء لهم في المجتمع العربي الإسلامي[27]. فكيف استخدم خلفاء بني أمية التجمير في فرض سطوتهم السياسية على معارضتهم، وتوسيع حدود دولتهم ؟

الواقع أن أهل الشام لم يجمروا لفترات طويلة في الثغور خلافًا لأهل العراق، فقد كانت الجبهة الرئيسة في الحروب التي خاضوها هي الثغور مع الدولة البيزنطية والتي كانت ترسل لها دوريا حملات مرتين في السنة عُرفت باسم الصوائف والشواتي، منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب[28]، واستمرت زمن الأمويين، وأصبحت منتظمة زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان بفضل جهود عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والي حمص، الذي قد يبقى مدة عامين ولا يقفل بجند كحدا أدنى " وقال الوليد بن مسلم: سمعت سعيد بن عبد العزيز، أو غيره ، يخبر أن معاوية شتَّى عبد الرحمن بن خالد سنتين في جيش مقيم بأرض الروم، يدخل عليه القواد سنة، سنة، يصيف ويشتو عنده لم يغفل عنه حتى مات عبد الرحمن بأرض الروم"[29]. وأن الحملات التي كانت تخرج إلى بلاد المغرب قد شارك فيها أهل الشام مع أهل الحجاز ومصر، ولم يقع عبء الفتوحات وحراسة الثغور علىهم وحدهم، كما هو حال أهل العراق الذين تحملوا الحروب في المشرق وحدهم.

كان العراق المجال الأول لتنفيذ سياسة التجمير، لكونها معقل المعارضة السياسية للأمويين، وشهد تقلبات سياسية كثيرة زمن الخليفة

معاوية بن أبي سفيان (41-60ه/666-680م)، بالرغم من أنه إثر توليه الخلافة أعطى في خطبته بنخلية قرب الكوفة وعودًا سياسية بقوله: " وأن يقيم البعث القريب ستة أشهر، والبعيد سنة" [30]، ولكنه لم يفِ لأهل الكوفة بوعوده التي قطعها، فقد عانت الكوفة أكثر من البصرة من قضية التجمير؛ لكونها معقل شيعة الإمام علي بن أبي طالب المعارضين للحكم الأموي .

وفي ولاية المغيرة بن شعبة (42-50ه/667-670م) الذي فضَّل السلامة على ردع المعارضة الكوفية لحكم الخليفة معاوية، ولكن خَلَفه الوالي زياد بن أبيه، المحسوب على الأسرة الأموية، فبدا أكثر جدية في فرض سطوة الأمويين والحصول على الولاء سواء بالترغيب في الأموال أم بالتهديد المبطن وهو التجمير في البعوث، فيذكر ابن قتيبة أن زياد ابن أبيه، والي العراق، قد كتب برنامجه السياسي في مجلس الولاية بالكوفة وتعهد بحصولهم على العطاء والأرزاق في موعدها، وبألا يجمرهم في البعوث، بشرط السمع والطاعة[31].

لقد تولى زياد بن أبيه (45-53ه/665-672م) إدارة البصرة والمقاطعات التابعة لها وهي: خُراسان، وسجستان، والهند، والبحرين، وعُمان، وكان على زياد أن يعيد تنظيم إدارة البصرة، فتوجه إلى أشرافها باللوم وتحمل مسؤولية الفوضى الأخلاقية والاجتماعية من أعمال السرقة والمواخير* في المدينة، وتعهد لهم بأنه لن يحبس أرزاقهم وعطاءهم ولا يجمر لهم بعوثًا في الثغور إن تعاونوا معه في تحقيق الأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي في البصرة[32].

وندد بعض شعراء العراق ينددون بسياسة التجمير التي اتبعها الخليفة معاوية أو بنقل جماعات وعشائر من إقليم لأخر كون ضرورة استراتيجية لحماية الثغور والتخلص من المناوئين السياسيين للحكم الأموي[33].

وأن الخليفة معاوية بن أبي سفيان عمل عند مجيئه للسلطة على تفكيك هذه القبائل وتشتيتها بإثارة المشاكل فيما بينها عن طريق بعض أعوانه، أو بتوزيع فيها أموال طائلة، كما ابتدع طريقة جديدة للتخلص من المناوئين لحكمه القائم بنقل هؤلاء المعارضين أماكنهم إلى أماكن أخرى، فنقل جماعة من أهل الكوفة إلى الشام والجزيرة الفراتية، وحل محلهم جماعة مؤيدة له من تلك المناطق، وهو ما يسمى "النواقل"، دون فائدة بفعل المعارضة الشديدة في ذاك الوقت، ولما تولى زياد بن أبيه ولاية العراق عامة، قام بنقل خمسة وعشرين ألفا من أهل الكوفة إلى خراسان مع عائلاتهم ووطنّهم فيها[34].

لم يكن نهج الزبيرون مختلفًا عن السفانيين أو حتى المروانيين أنفسهم في إدارة الدولة، وبخاصة في قضية تجمير المعارضين في البعوث، فنجد مصعب بن الزبير، والي العراق (67-68ه/686-687م) يهدد أشراف البصرة، بعد محاولة فاشلة بالانقلاب عليه، إثر حملة عبد الملك بن مروان على العراق لاستعادته من الزبيريين سنة (70ه/689م) نراه قد "ضربهم مائةً مائة، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وهدم دورهم وصدَّرهم في الشمس ثلاثًا، وحملهم على طلاق نسائهم، وجمر أولادهم في البعوث، وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم أن لا ينكحوا الحرائر"[35].

استعمل ولاة بني أمية سياسة التجمير وسيلة ردع سياسية؛ لتفادي انتفاضات أهل العراق ضد الدولة الأموية من جهة، وسخروها في توسيع أملاك الدولة الأموية ونفوذها في المشرق من جهة أخرى، دون مراعاة للآثار الاجتماعية التي عاشها أهل العراق، نتيجةً لبُعد الجند عن أهلهم وأولادهم وأقاربهم. إن قضية التجمير هي من القضايا البارزة التي تحدث توترًا في علاقة الخلافة الأموية بأهل العراق، فقد حاول بعض الولاة التخفيف من حدتها والتقليل من آثارها السلبية، كزياد بن أبيه، لكن الحجاج بن يوسف(75-79ه/694-698م) فرض على أهل العراق سياسة التجنيد الإجباري بالقوة والتهديد بالقتل عند التخلف في البعوث[36]. فكان أحد أهداف الانتفاضات العراقية الإعفاء من التجمير في البعوث، وعدم الحرمان من الأرزاق والعطاء.

ويُرى أن جهود الحجاج بن يوسف الثقفي الحقيقية في تجنيد البعوث تظهر بصورة أوضح عندما توليه العراق؛ إذ عمل على إرسال الجند إلي المهلب بن أبي صفرة، لحرب الخوارج، وبتنفيذ الفتوحات في الجهة الشرقية. وهنا يقول عبد الواحد ذنون طه: " إن فرض البعوث، وتجنيد الجنود، كان موجودًا أو معروفًا قبل الحجاج ولكن الحجاج طبق هذه الأنظمة بصورة حازمة، الأمر الذي جعله يبرز في هذا الميدان، فقد كان لا يسمح لأحد من الناس أن يتخلف عن البعث، إلا أن يكون مشغولًا بعمل من أعمال الخليفة. يضاف إلى ذلك أنه كان يجند المحتلمين البالغين من الصبيان، ويفرض عليهم البعث عند اللزوم، كما كان يسمح لولاته بأخذ من شاءوا من أهل الأمصار وتجهيزهم وإرسالهم للفتوحات في الشرق، وأن العطاء الذي كان يفرضه الحجاج بن يوسف لغالبية الجند، هو ثلاثة مائة درهم في السنة، ولكنه كان يطلب نظير ذلك، أن تكون عدة الجندي كاملة.

ويبدو أن هذا المبلغ لم يكن يفي بذلك، لهذا كان الجنود يشكون من صعوبة التوفيق بين هذا العطاء، وبين ما يطلبه الحجاج من عدة وسلاح، ومن جهة أخرى كان عطاء الجندي الشامي في العراق مئة درهم، لكل واحد منهم في الشهر"[37].

ظل العراق يعاني من التجمير زمن المروانيين وما مشاركة أهل العراق في ثورة ابن الأشعث إلا بسبب كره العراقيين للحجاج بن يوسف، الذي سلط عليهم جند الشام لتوطيد الحكم الأموي في العراق وتجميرهم في البعوث، وقد جاء في خطبة ابن الأشعث لجنده أن الحجاج يأمرهم بالتوغل في أرض العدو سجستان*، التي فشلت العديد من الحملات في القضاء على ملك الترك وقتل فيها الكثير من الجند العراقيين. لقد كان الحجاج حريصًا على فتح سجستان أكثر من حرصه على سلامة العراقيين، وأن همّ الحجاج الأول جباية الأموال والغنائم من هذه الفتوحات، وتعزيز سلطانه ومكانته السياسية عند الخليفة عبد الملك بن مروان. ويتضح ذلك في قول مطرف بن عامر بن واثلة الكناني وكان شاعرًا وخطيبًا: " فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال لأخيه: احمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك، إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب، فإن ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم، ولا يبقي عليهم"[38]، والسبب الثاني نجده في مخاوف العراقيين من التجمير في بلاد الترك، كما جاء على لسان أحد أشراف الكوفة عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي قوله: " إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمركم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمر البعوث، ولن تعاينوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء"[39].

لقد نبه المهلب بن أبي صفرة - سيد قبيلة الأزد في البصرة- الحجاج بأضرار التجمير وشوق الجنود العراقيين لعائلاتهم، وهو أحد أهم الأسباب لثورة ابن الأشعث في رسالته: " أما بعد، فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عَلِن وليس شيء يرده حتى ينتهي إلى قراره، وإن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهلهم ويشموا أولادهم، ثم واقفهم عندها، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله. فلما قرأ كتابه قال: فعل الله به وفعل، لا والله ما لي نظر ولكن لابن عمه نصح {يقصد ابن الأشعث} " [40].

وعَدَّ ثابت الراوي التجمير هو أحد عوامل للثورات العراقية ضد الحكم الأموي: " استغلال خلفاء بني أمية أهل العراق في الفتوح دون أن يكون لهم فيها نصيب كبير من عائداتها المالية، كما أن ولاة الدولة كانوا يجمرون جيوش العراقيين في المناطق البعيدة؛ ليبعدوا عنهم شرها وخطرها، فشعر العراقيون بسوء هذه المعاملة وتركهم العراق لأهل الشام يعيثون فيه الفساد" [41].

ما لبث أن خَفَّت وتيرة التذمر السياسي من الإدارة الأموية زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101ه/717-720م)، الذي اتبع - كما يرى عبد المنعم ماجد - سياسة حدود تختلف عن سياسة أسلافه؛ لأنه كان يرى في الجهادِ لوقفِ خطر أعداء الإسلام، وليس للبحث عن مزيد من الغنائم والأسلاب[42]، وفي رأيي أنه كان لأمجاد شخصية قد يحققها بعض الولاة والخلفاء من وراء هذه الحملات، لذلك اتبع ابن عبد العزيز سياسة دفاعية، وجعل رباط المجاهدين في الثغور أربعين يومًا [43]. ولكن قضية التجمير أثيرت في نهاية الدولة الأموية بسبب الصراع السياسي الذي دار بين أفراد الأسرة الأموية لكسب المؤيدين والأنصار من عامة الناس بين يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد، وقد تناول المُنتزي على العرش يزيد بن الوليد موضوع التجمير في خطابه الأول أمام أهل الشام سنة (126ه/743م)، الذي حاول أن يبرر قتله للخليفة الوليد وثورته عليه، وترغيب الناس في البيعة له بقوله: " إنّ لكم عليّ ألا أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على لبنة؛ ولا أكري نهراً، ولا أكُثُر مالاً، ولا أعطيه زوجة ولا ولداً، ولا أنقل مالاً من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يعينهم؛ فإن فضل فضل نقلته إلى البلد الذي يليه؛ ممن هو أحوج إليه؛ ولا أجمّركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم؛ ولا أغلق بابي دونكم؛ فيأكل قويّكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم؛ وإنّ لكم أعطياتكم عندي في كلّ سنة وأرزاقكم في كلّ شهر؛ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم، فإن وفيتُ لكم بما قلت؛ فعليكم السمع والطاعة" [44]. وعليه ظل التجمير في البعوث من القضايا الهامة التي شغلت الناس حتى نهاية الدولة الأموية التي كانت قد تبنت سياسة عسكرية توسعية فرضت عليها إيجاد استراتيجية للدفاع عن هذه الحدود المترامية، فكان التجمير أحد وسائلها والتي خلفت آثارًا اجتماعيةً سلبيةً على حياة الناس في الدولة الأموية. ولكن كيف عالجت الدولة الأموية هذه الإضرار النفسية والاجتماعية والمالية التي تلحق بعائلات الجند المجمرين في البعوث؟

لم ترعِ الدولة الأموية معالجة الأضرار النفسية والاجتماعية التي لحقت بالجند المجمرين في البعوث، فقد ترك الجند لفترات طويلة في الثغور قد يستمر لسنوات؛ بل كان الهدف الاستراتيجي التوسع العسكري، والسياسي والقضاء على المعارضين لحكمهم هو في أوائل اهتمامات خلفاءها وولاتهم.

حاول بعض الجند معالجة مشكلة البُعد عن زوجاتهم بالتسري[45] واتخذ الإماء بديلًا عن الزوجات في المعاشرة في مناطق الثغور، وأورد ابن عبد ربه قصة الرجل الذي جمر في البعوث وتركه لزوجته واتخاذه جارية من سبي أذربيجان، فكتب إليها بأبيات من الشعر يتغنى بمحاسن الجارية، فردت عليه بأخرى تهدده بأنها سوف تستبدله بغلام شاب. ويتضح من القصة ما قد يلحقه التجمير من أضرار وتفكك بالعلاقات الاجتماعية والأسرية[46]، وقد نجم عن التسري أولاد من آباء عرب وأمهات من جنسيات مختلفة مثلوا جيلًا جديدًا اطلق عليهم اسم المولدين*، حضوا بمرتبة اجتماعية أقل من العرب الصرحاء في المجتمع العربي الإسلامي، ومن أمثال هؤلاء " شريك بن عبد الله القاضي، وسفيان الثوري، وإسرائيل، وفضيل بن عياض، وغيرهم من فقهاء الكوفة ولدوا بخراسان، كان يضرب على آبائهم البعوث، فيتسرى بعضهم وبتزوج بعضهم، فلما قفلوا جاء بهم آباؤهم إلى الكوفة. قال الفضيل: ولدت بسمرقند* - وكان من أهل نسا* - ورأيت بها عشرة آلاف جوزةٍ بدرهم. وكان فضيل شاطراً يقطع الطريق في مفازةٍ بين أبيورد* ومرو*. فربما كان ينتمي إلى أبيورد "[47].

كان العرب يطلقون على هؤلاء المولدون اسم " الهجين " وكانوا لا يورثون الهجين في الجاهلية[48]، ويبدو أنه ظل لهذا التقليد وجودًا في الحياة الاجتماعية للعرب بعد الإسلام، فقد كان خلفاء بنو أمية " لا تبايع لبني أمهات الأولاد، فكان الناس يرون أن ذلك للاستهانة بهم، ولم يكن لذلك، ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد، فلما ولى الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه، وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى، فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات، ووثب مكانه مروان بن محمد، وأمه كردية، فكانت الرواية عليه. ولم يكن لعبد الملك بن مروان ابن أسد رأياً، ولا أذكى عقلاً، ولا أشجع قلباً، ولا أسمح نفساً، ولا أسخى كفاً من مسلمة، وإنما تركوه لهذا المعنى" [49].

وفي قصة الأعرابي من بني العنبر من قبيلة تميم في البصرة بالرغم من أن حدثت زمن أبي جعفر المنصور(136- 158ه/ 754– 775م) - قرب حدوثها من نهاية الدولة الأموية - إلا أنها تؤكد استمرار لهذا التقليد بين الأعراب، فقد احتج أحد الأعراب على سوار بن عبد الله القاضي في البصرة* عندما حكم بحصة من الميراث لأخيه من أم غير عربية "... فقال: إن أبي مات وتركني وأخا لي، وخط خطين، ثم قال: وهجينا، ثم خط خطا ناحية، فكيف يقسم المال؟ فقال له سوار: ها هنا وارث غيركم؟ قال: لا؟ قال: فالمال أثلاثا؛ قال: ما أحسبك فهمت عني، إنه تركني وأخي وهجينا، فكيف يأخذ الهجين كما آخذ أنا وكما يأخذ أخي؟ قال: أجل؛ فغضب الإعرابي، ثم أقبل على سوار، فقال: والله لقد علمت أنك قليل الخالات بالدهناء*؛ قال سوار: لا يضرني ذلك عند الله شيئا "[50].

بالرغم أن هذه المعلومة ترجع إلى بداية العصر العباسي زمن الخليفة المنصور بالتحديد، وهي خارج نطاق الفترة الزمنية للبحث، لكنها تعطينا إشارة مفيدة، بأن العرب في البادية خاصة ظلوا يفضلون أن إلا يرث إخوانهم من الهجناء الأموال معهم على عادة أهل الجاهلية. وكانت العرب تحتقر أبناء الجواري، ثم ضعفت هذه الكراهية لما كثر التسري بالجواري[51]، وفي رواية عن الأصمعي:" وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء، حتى نشأ منهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً؛ فرغب الناس في السراري" [52].

اتمة :

1. أن الدولة الأموية نجحت من خلال سياسة التجمير في البعوث من تحقيق هدفها الاستراتيجي وهو التوسع العسكري لرقعة دولتهم وحدودهم السياسية، وتكوين إمبراطورية تحد في الشرق بلاد الترك والخزر وفي الغرب الأندلس وجنوب فرنسا.
2. أن هذه السياسة استخدامها الأمويين للتخلص من خصومهم السياسيين وإشغالهم في حرب الثغور عن ثورة ضد الحكم الأموي، لضمان الاستقرار السياسي، خاصة في الأمصار التي شهدت ثورات متكررة ضدهم بالأخص العراق.
3. بالرغم من الإيجابيات السياسية والعسكرية التي عادت على الدولة الأموية من سياسة التجمير في البعوث ، إلا أن لها سلبيات وآثار اجتماعية سيئة منها :

أ- كراهية أهل الأمصار لحكم الأموي واستبداده في إرغامهم على الخروج لحرب الثغور، والبقاء فترات طويلة في حدود أرض العدو في ظروف قاسية بعيدا عن عائلاتهم ومواطنهم.

ب- التفكك الأسري وتدهور أوضاع العائلات التي تعرض أربابها للتجمير في الثغور اجتماعيا وماديا. فأصبحت الأسر عرضة للطلاق، أو عدم عودة الزوج لأسرته واتخذ لنفسه حياة جديدة مع امرأة من أهل الثغور إما بالزواج أو التسري.

ج- نشأ جيل جديد من العرب الهجين وخليط مع الأجناس والأمم أخرى، عرفوا "بالمولدين"، الذين لم يحظوا بمكانة اجتماعية مساوية للعرب الصرحاء، فاتجاه بعضهم للفقه والعلوم ليحسنوا مكانتهم الاجتماعية في المجتمع العربي الذي غلب عليه العصبية القبلية، والبعض الآخر يبدو أنه سلك طريق العيارة والشطارة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر:

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار المعرفة، بيروت، 2002.

[2]- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1968.

[3]- ابن حجر، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، دار الفجر للتراث، القاهرة،2004.

[5]- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968.

[6]- ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، 1399ه.

[7]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1990.

[8]- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة،المكتبة التوفيقية، مصر، 2000.

[9]- ابن منظور, لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414ه.

[10]- أبو البقاء الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت، 1998.

[11]- أبو عبيدة، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد الهراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

[12]- البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار فرانتس شتاينر1979، ق4،ج 1.

[13]- البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1974.

[14]- البلاذري، فتوح البلدان، بيروت، دار اقرأ، 1992.

[15]- الخطيب البغدادي, تاريخ بغداد , دار الكتب العلمية، بيروت،(د. ت).

[16]- الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1925.

[17]- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو, هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م)،1413ه.

[18]- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1992.

[19]- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

[20]- محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

[21]- محمد بن عائذ الدمشقي (ت 233ه) ، كتاب الصوائف (المُستخرَج)، تجميع سليمان السويكت، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المكتبة الالكترونية الشاملة.

[22]- المسعودي، مروج الذهب، تحقيق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، 2000.

[23]- المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

[24]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر،1957.

ثانيا- المراجع:

[1]- ثابت إسماعيل الراوي، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، 1965.

[2]- عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1969.

[3]- عبد الواحد ذنون طه، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام، الموصل، 1985.

[4]- علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.

[5]- قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : العصر الأموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.

[6]- ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، اتحاد المؤرخين العرب، 1980.

الدوريات:

1. أنطوانيت أديب باسيلي, " ثغور العرب في التاريخ" مجلة التاريخ العرب والعالم, دار النشر العربية، بيروت، السنة الثالثة، العدد 34،1981.

محاضرات:

1. مختار أبو عجيلة العجيل، محاضرات في تاريخ الدولة الأموية، طرابلس: جامعة طرابلس- الفاتح سابقا-، كلية الآداب- قسم التاريخ, السنة الدراسية 1990-1991م.

الهوامش:

* أ. د مختار أبو عجيلة العجيل: مواليد العجيلات (1936م)، تحصل على درجة الليسانس في التاريخ من كلية الآداب والتربية بنغازي في العام الجامعي (1958-1959م) بتقدير عام جيد جدًا. دَرّس لمدة عام واحد في معهد المعلمين بطرابلس سنة (1960م) والتحق بالخارجية في(1961م) ورشح للدراسة في الولايات الأمريكية المتحدة، فتحصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية في عام (1973م) من جامعة فلتشير. واشتغل لسنوات في الخارجية الليبية تولى مناصب سياسية منها : القائم بالأعمال في القنصلية الليبية بلبنان، ترك العمل الدبلوماسي إثر وعكة صحية في الثمانيات، وتفرغ للدراسة في الولايات الأمريكية المتحدة، وتحصل على درجة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي من جامعة ميشيغن عام (1985م) ثم عين أستاذًا جامعيًا في جامعة طرابلس - الفاتح سابقا- عام (1978م)، وتولى رئاسة قسم التاريخ في الفترة مابين (1996- 2000م)، وتقاعد سنة (2001م)، توفي عام (2010م) رحمه الله وجزاه عن العلم وطلبته خيرا الجزاء.

(1) ابن منظور, لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414ه،ج 4، ص146.

(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص329.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1992، مج 3، ج 6، ص 480.

(4) حتى أن أحد الشعراء شبه الخليفة معاوية بن أبي سفيان بهذا الكسرى، فقال: " وجَمَّرْتَنَا تَجْمِيرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنَا حتى نَسِينَا الأَمَانِيا". ينظر: ابن منظور, لسان العرب، ج 4، ص 144.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 116.

(6) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، 1399ه، ج3، ص807.

(7) نفس المصدر، ج2، ص675. وفي رواية عن نافع عن ابن عمر: "أن عمر{ بن الخطاب} كان لا يعطى أهل مكة عطاء، ولا يضرب عليهم بعثا، ... قال أبو عبيد: أفلا تراه لم يجعل لهم عطاء دارا، إذ كان لا يغزيهم". أبو عبيدة، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد الهراس، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص295.

(8) قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية : العصر الأموي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004، ص86.

(9) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج 3، ج 6، ص239.

* ثغور: " تعني كل موضع يكون في أرض العدو، في بطن واد أو فرجة الجبل، قرب أرض المسلمين. فقد كانت حدود الروم تتكون من سلاسل من الجبال الشاهقة منها جبل اللكآم الممتد على طول البحر المتوسط حتى بحر قزوين.". عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969 ج2، ص37.

(10) ابتكر الإمبراطور هرقل (610-641 م) نظام الثغور فقد تولى الإمبراطورية وكانت خزينة خاوية، والضرائب فادحة يرزح تحتها الأهالي، وكان الجند والمرتزقة يزيدون من أعباء الإمبراطورية المالية، لذلك أوجد هرقل نظام الثغور والأجناد، والذي أخذه الفرس والعرب قيما بعد. أنطوانيت أديب باسيلي, " ثغور العرب في التاريخ" مجلة التاريخ العرب والعالم, دار النشر العربية، بيروت، السنة الثالثة، العدد 34،1981، ص 54-61.

(11) "خرج عمر رضي الله عنه ليلة بحرس فمرّ على امرأة وهي في بيتها تقول: تطاول هذا الليل واسْوَد جانبه*** فو الله لولا خشية الله وحده *** لحُرِّك من هذا السرير جوانبه *** وطال علي أنْ لا خليل أُلاعبه . فذهب عنها حتى أصبح يسأل عنها، فقيل هذه فلانة امرأة فلان زوجها غازٍ ، فأرسل إليها عمر رضي الله عنه امرأةً وقال: كوني معها حتى يقدم زوجها، وأجرى على المرأة نفقة، وكتب إلى زوجها أن تُقْفِلوه إليها، ودخل على ابنته حفصة رضي الله عنها فقال: يا بنية كم تصبر المرأة عن زوجها، فقالت: يغفر الله لك، مثلك يسأل عن مثل هذا! فقال: والله لولا أنه شيء أُريد أن أنظر فيه للرعية ما سألت عنه، فقالت: تصبر المرأة عن زوجها أربعة أشهر وخمسة أشهر، وذلك أنّ تلك العدة". ابن شبة, تاريخ المدينة المنورة, ج2, ص 3. " سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها فقالت ستة أشهر أو أربعة أشهر قال مالك الشك أربعة أو ستة لا أدري فقال عمر لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك". السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو , (د .م), هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413ه، ج1, ص 284.

(12) ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج3، ص807.

(13) ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 146 .

(14) محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج2، ص392.

(15) ابن شبة, تاريخ المدينة المنورة, ج2, ص3.

(16) ابن شبة, تاريخ المدينة المنورة, ج2, ص 3.

(17) محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة, ج2، ص392.

(18) البلاذري، فتوح البلدان، بيروت، دار اقرأ، 1992، ص596، ص209.

(19) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة العربية، ج2، ص 38.

(20) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، مج 2، ج4، ص477.

(21) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق سعيد اللحام، بيروت، دار الفكر، 2000، ج2، ص418.

(22) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة،المكتبة التوفيقية، مصر، 2000، ج1، ص 45.

* الفيء: كل مال جاء من المشركين بغير حرب كالجزية والخراج وأعشار التجارة. الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص131.

(23) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص64-65.

(24) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، مج 3، ج 5، ص40.

(25) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج 3، ص57-58. البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1974، ج2، ص424-431.

(26) ابن خلدون، المقدمة، دار الفجر للتراث، القاهرة،2004، ص240-241.

(27) مختار أبو عجيلة العجيل، محاضرات في تاريخ الدولة الأموية، طرابلس: جامعة طرابلس/ الفاتح سابقا، كلية الآداب- قسم التاريخ, السنة الدراسية 1990-1991م.

(28) محمد بن عائذ الدمشقي، كتاب الصوائف (المُستخرَج)، تجميع سليمان السويكت، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المكتبة الالكترونية الشاملة، ص 14- 16.

(29) محمد بن عائذ الدمشقي، كتاب الصوائف (المُستخرَج)، ص14.

(30) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار فرانتس شتاينر1979، القسم 4، ج1، ص225.

(31) الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1925، مج1، ج 5، ص211 .

* المواخير: بيوت الريبة. ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص161.

(32) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مج3، ج5، ص98-109.ص110-113.

(33) ابن منظور, لسان العرب، ج 4، ص 144.

(34) ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، اتحاد المؤرخين العرب، 1980، ص83- 84. وفي رواية للبلاذري "...كانوا قرابة الخمسين ألفا من أهل البصرة والكوفة بعيالاتهم فأسكنهم دون النهر". البلاذري، فتوح البلدان ، ص543 .

(35) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار المعرفة، بيروت، 2002،ج4، ص 7.

(36) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج 3، ج6، ص480.

(37) عبد الواحد ذنون طه، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مكتبة بسام، الموصل، 1985، ص128- 129.

* سِجِستَانُ: " وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة ... جنوبي هراة وأرضها كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبداً. قال الإصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حرّة بها نخيل ولا يقع بها الثلج وهي أرضٍ سهلة لا يرى فيها جبل". ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ،1957، مج 2، ص190.

(38) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج 3، ج6، ص 480.

فلا قفل الجند الذي أنت فيهم ... وزادك رب الناس بعداً إلى بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب فرسه وأردف الجارية ولحق بها، فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال: بالله هل كنت فاعلة؟ قالت: الله أجل في قلبي وأعظم، وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك، فكيف ذقت طعم الغيرة؟ فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعثه". ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1990، ج6، ص81.

* المولد: ".... ورجُلٌ مُوَلَّد إذا كان عَرَبيًّا غيرَ مَحْضٍ". الزبيدي، تاج العروس،ج1، ص 2354. " قال { أ ن رسول الله (ﷺ) لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى ظهر فيهم المولدون أبناء سبايا- الأسرى من النساء والأطفال - الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا". الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ، بيروت،(د. ت)، ج13، ص 413.

(47) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق،ج6، ص 281.

(48) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 6، ص 100.

(49) نفس المصدر، ج 6، ص101.

* سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري القاضى البصري روى القليل عن بكر المزني والحسن قال شعبة ما تعني في طلب العلم وقد ساد وقال الثوري ليس بشيء قلت كان من نبلاء القضاة روى عنه بن علية وبشر بن المفضل ومات سنة ست وخمسين ومائة وكان ورعا انتهى وذكره بن حبان في الثقات وقال كان فقيها ولاه أبو جعفر القضاء سنة ثمان وثلاثين. ابن حجر، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، 1986، ج3، ص 126.

(50) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3 ص130.

(51) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994، ص138.

(52) ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج 6 ص99.

(39) نفس المصدر نفس الصفحة.

(40) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، مج3، ج6 ، ص 481- 482.

(41) ثابت إسماعيل الراوي، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، 1965، ص159.

(42) عبد المنعم ماجد، تاريخ الدولة العربية، ج2، ص267 .

(43) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968،ج5، ص 355 .

(44) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، مج 4، ج 7، ص 115.

(45) التسري: عند أبي حنيفة ومحمد ... مشتق من السر، وهو الجماع...، ورأى أبو يوسف أن التسري عبارة عن التحصين والجماع مع ترك الماء في الوطء طلبا للولد، وهو مشتق من السر، وهو الشرف، وإنما تصير شريفة إذا جعلها فراشا لتلحق بالمنكوحات". أبو البقاء الكفوي، كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، بيروت، 1998، ج1، ص514. "فأباح للرجل أن ينكح من أطايب النساء أربعا، وأن يتسرى من الإماء بما شاء، وليس التسري في شريعة أخرى غيرها...". ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1968، ج2، ص145.

(46) فكتب إليها ليغيرها: إلا ألا أبلغوا أم البنين بأننا ... غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد بعيد مناط المنكبين إذا جرى ... وبيضاء كالتمثال زينها العقد فلما ورد كتابه قرأته وقالت: يا غلام، هات الدواة. فكتبت إليه تجيبه:

ألا أقره منا السلام وقل له ... غنينا وأغنتنا غطارفة المرد

بحمد أمير المؤمنين أقرهم ... شباباً وأغزاكم خوالف في الجند

إذا شئت غناني غلامٌ مرجل ... ونازعته من ماء معتصر الورد